

قصر تيوت بين الحفاظ والتأهيل المستدام: استراتيجيات لحماية التراث المبني Tiout Palace between Conservation and Sustainable Rehabilitation: Strategies for Built Heritage Protection

د. قاضي محمد*

¹ جامعة طاهري محمد - بشار (الجزائر)، mohamed.kadi@univ-bechar.dz

ORCID iD¹: 0009-0000-8979-7279

تاريخ النشر: 2025/12/27	تاريخ القبول: 2025/12/09	تاريخ الاستلام: 2025/04/12
-------------------------	--------------------------	----------------------------

ملخص: يعد قصر تيوت من المعالم التاريخية البارزة التي تحمل قيمة ثقافية، اجتماعية، واقتصادية كبيرة. فهو يعكس التراث العمراني للمنطقة، ويشكل جزءاً من هويتها، وعليه جاءت دراستنا مركزة على تأهيل هذا القصر مما سيساهم في تنشيط السياحة الثقافية، ويؤدي حتماً إلى خلق فرص عمل، ودعم للأنشطة الاقتصادية المحلية، كما أنه يعزز الروابط الاجتماعية من خلال الحفاظ على ذاكرة الأجيال وترسيخ الشعور بالانتماء، لكن رغم أهمية المشروع، إلا أن تحقيقه يواجه عدة صعوبات، من بينها نقص التمويل اللازم لأعمال الترميم، والتأثيرات البيئية التي تسرع من تدهور البنية المعمارية، إضافة غياب استراتيجية واضحة من شأنه أن يعيق جهود التأهيل، مما يتطلب تعاون الجهات المعنية والخبراء والمجتمع المدني لضمان نجاح العملية، وحماية هذا الإرث التاريخي للأجيال القادمة.

كلمات مفتاحية: قصر تيوت؛ التأهيل؛ القصور الصحراوية؛ الحفاظ؛ التنمية المستدامة.

Abstract: The Teyout Palace is one of the prominent historical landmarks with significant cultural, social, and economic value. It reflects the architectural heritage of the region and constitutes a vital part of its identity. Thus, our study focuses on the restoration of this palace, which will contribute to the revitalization of cultural tourism, inevitably creating job opportunities and supporting local economic activities. Furthermore, it strengthens social ties by preserving the memory of generations and fostering a sense of belonging. However, despite the importance of the project, its realization faces several challenges, including a lack of sufficient funding for restoration efforts and environmental factors that accelerate the deterioration of the architectural structure. Additionally, the absence of a clear strategy may hinder restoration efforts, necessitating the cooperation of relevant authorities, experts, and civil society to ensure the success of the project and the protection of this historical heritage for future generations.

Keywords: Tiout Palace; Rehabilitation; Saharan Palaces; Preservation; Sustainable Development.

1. مقدمة:

تعد القصور الصحراوية من العمائر المهمة التي تحفظ بين طياتها تاريخ وحضارة الشعوب التي سكنت المناطق الصحراوية، حيث تعكس أسلوب الحياة التقليدي، والمهارات المعمارية الفريدة التي طوّرتها ساكنة هذا الفضاء الجغرافي لمواجهة التحديات المناخية والجغرافية. ومع مرور الزمن، تعرضت هذه القصور للإهمال والتدهور بسبب عوامل طبيعية وبشرية، مما جعل الاهتمام بها ضرورة ملحة تجمع بين حفظ التراث والتنمية المستدامة، إن إعادة تأهيل القصور الصحراوية لا يقتصر على الحفاظ على طابعها المعماري فحسب، بل يشمل أبعاداً اجتماعية، اقتصادية، وسياحية تسهم في تنمية المجتمعات المحلية وتحقيق استدامة بيئية طويلة الأمد، وبغية الإلمام بجميع جوانب هذا الموضوع الشاسع أسسنا لورقتنا البحثية الإشكالية التالية كيف يمكن تحقيق التوازن بين حفظ قصر تيوت وتأهيله بشكل مستدام لضمان استدامة تراثه المعماري؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كوننا نسعى إلى التفصيل فيها ووضعها في قالب يجعل منها ركيزة جوهرية لإبراز دور التأهيل المستدام في الحفاظ على القصور الصحراوية كموروث ثقافي وحضاري، ونظرا لعمق موضوع الدراسة وحدائته حدّثنا مفهوم التأهيل اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على الدراسة الميدانية، من خلال زيارة العينة الأثرية وجمع الوثائق المتعلقة بها.

2. الإطار الجغرافي والتاريخي لقصر تيوت:

يقع قصر تيوت في ولاية النعامة في منطقة جبال القصور حيث يحدها شمالا مدينة النعامة وجنوبا بلدية مغرار، وشرقا بلدية عسلة وغربا مدينة العين الصفراء، أما فلكيا تنحصر هذه البلدية بين دائرتي عرض (32° و 33°) شمالا وخطي طول 02 و 03 غربا، حيث تربع على مساحة تقدر بحوالي 780 كلم².

1.2 الموقع الجغرافي والفلكي لقصر تيتوت:

يتوسط القصر العتيق بلدية تيتوت الواقعة على بعد 88 كلم جنوب مقر ولاية النعامة، ويبعد عن دائرة العين الصفراء بـ 18 كلم شرقا، بجانب الطريق الوطني رقم 47 الرابط بين بلدية العين الصفراء وولاية البيض ومن الجنوب بلدية مغرار، ومن الشرق بلدية عسلة، أما فلكيا فهي تقع بين دوائر العرض 32° و 46° شمالا، وبين خطوط الطول 0-24° و 58° غربا (النعامة، 2018).



-منظر عام لقصر (تيتوت) -

2.2 الإطار التاريخي لقصر تيتوت :

تعد منطقة تيتوت التي تنتهي إلى منطقة جبال القصور، الواقعة في الاطلس الصحراوي من المناطق التي لم تنل حظها من الدراسة الوافية، وذلك لشح الابحاث، باستثناء ببعض التقارير الاجنبية، حيث أجمعت أغلب الوثائق المكتوبة أن تاريخ قصر تيتوت يمكن تقسيمه إلى فترات متنوعة والتي سوف نتطرق إليها تباعا (عيسى، 2001، صفحة 01).

فترة ما قبل التاريخ:

ساهمت الحملة العسكرية الفرنسية، التي كان يقودها الجنرال "كافيناك" إلى تيوت في 24 أبريل 1847م، في مهمتها الاستطلاعية لمناطق الجنوب الغربي إلى الكشف عن رسومات صخرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث أشار جاكو فيليكس أن منطقة تيوت هي منطقة قديمة جدا نظرا للمحطات الصخرية المكتشفة ومحتواها، ومن ذلك الوقت اعتبرت تيوت المحطة الأولى للرسومات الصخرية في الاطلس الصحراوي (عيسى، 2001، صفحة 62)، رغم أن جل الدراسات تؤكد ظاهرة الرسومات الصخرية في منطقة الاطلس الصحراوي، التي امتدت الى المغرب الأقصى، ثم الى غاية مصر بل تجاوزت الى شبه الجزيرة العربية، مما يؤكد ان الحضارة في تلك الفترة كانت واحدة، لأنه وجدت رسومات صخرية شبيهة بالرسومات الصخرية بتيوت، وقد ذكر "مونت غومري" "...هذا ولدنا اعتقاد بان الظاهرة الفنية قد عمت في ذلك العصر عموم الصحراء الافريقية العربية وعلى ارض الجزيرة، وقد تم اكتشاف العديد من هذه الرسومات منتشرة من منطقة الصفا حبوني دمشق، ومن شبه الجزيرة العربية مما يساعد على تأكيد الوحدة الحضارية لهذه المناطق، وقد ساعدت هذه الرسومات في تأكيد دراسات لاحقة حول تاريخ وأنتروبولوجيا هذا الفضاء المكاني مثل ما ذهب إليه ابن خلدون "... البربر هم الامة الثانية في الغرب القديم... هذا الجيل من الادميين هم سكان المغرب القديم ملئوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه، وضواحيه وامصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويضعن اهل العزة منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفاز الاملس (خلدون، 1981، صفحة 81)، بينما ارتكز فيليكس جاكو في طرحه بخصوص اصل سكان الصحراء الجزائرية على هذه المعطيات الأثرية، حيث يذكر في هذا الصدد "...يتقاسم اليوم الصحراء الجزائرية نوعين من السكان، مختلفين من حيث الاصل ونمط الحياة، البربر وهم السكان الاصليون يسكنون القصور، والعرب وهم بدو يسكنون الخيام، وهم نتاج ذوبان

شعبين بدائيين اللذين احتلا شمال افريقيا في الفترات الاولى من التاريخ عرف الأول بالليبيين الشرق، والثاني بالجيتول الغرب (Felix, 1889, p. 159)

- فترة الفتح الاسلامي:

تعد تيوت منطقة عبور الى المغرب الأقصى، ومسلكا تجاريا هاما خلال الفتح الاسلامي، ومن بين القبائل التي كانت تجوب هذه المنطقة ايام الفتح الاسلامي نجد بدو يفرن ومغراوة، ومن خلال الابحاث التي اهتمت بالمنطقة تطرقت إلى عدة أحداث مهمة في الفترة الإسلامية من أبرزها مرور حملة عقبة بن نافع الثانية سنة 681 م، المتجهة اتجهت نحو المغرب الاقصى بعد ان اخضع بربر تيمرت، وكذا حملة "موسى بن نصير" في 705 م (نصيرة، 2018، صفحة 105)، ولكنها لم توضح موقف القبائل الزناتية التي تسكن المنطقة من حملة "عقبة بن نافع"، وحملة موسى بن نصير بل ركزت على ان القبائل الزناتية بتيوت والمناطق المجاورة لها، رفضت دخول الاسلام، حيث اعتنق اهالي تيوت الاسلام بحكم طبيعتهم الاجتماعية، وهذا ما يؤكده رشيد بورويبة الذي ذكر وشدد على ان "...ان الزناتيين كانوا رحالة بدوا في معظمهم، كانت تتوفر فيهم جميع خصائص ومميزات البدو في العالم القديم والوسيط وادراكهم لرابطة النسب البعيد مع العرب، وللتشابه في الخصال لم يجد الفاتحون منهم مقاومة كبيرة في بداية الفتح الاسلامي (بورويبة، صفحة 85).

- الاحتلال الفرنسي:

سبقت الحملات العسكرية الفرنسية لمنطقة جبال القصور، ومن بينها تيوت حملات استطلاع واستكشاف، بحيث كلفت فرنسا الجنرال دوما سنة 1845 بأن يقوم بدراسة منطقة الهضاب العليا الغربية، وغرب الأطلس الصحراوي، والصحراء، وكذلك دي كولومب (De Colomb) في 1858 م.

ذلك أن الاستعمار الفرنسي كان يهدف إلى إقحام القسم الصحراوي ضمن الاحتلال الشامل، ويظهر ذلك من خلال التقرير الذي بعث به الماريشال سولت (Soul) وزير الحربية آنذاك

إلى حكومة لويس فليب Louis Philippe

كما ذكر أندري برنيان وآخرون «.. الذي نص على ضرورة إحداث صنف ثالث مع الجهات الإدارية، الذي يمثل المناطق الواقعة بين التلال...و إعداد الظروف الملائمة قصد إقامة علاقات تجارية وتوسيعها، ومراقبة الطرق التجارية الصحراوية والتعرف على القوة العسكرية المحلية، والحد من المقاومة الجزائرية، في هذه الجزئية المهمة في بحثنا وبالعودة للمقاومة المحلية وشخصية الأمير عبد القادر ودورها الجهادي في المنطقة عاش قصر تيوت وأهاليه أحداث مهمة تنوعت تصنيفاتها سواء في مجال الحفظ والذي يبرز دور السكان في حفظ أصالتهم وهويتهم أو في المجال الاقتصادي والذي حاول المستعمر فرضه كنمط حياة جديد يساهم في فرض السيطرة على كامل المنطقة ، وأهداف أخرى لا يسعنا طبيعة الموضوع الخوض فيها، لدى سنكتفي بذكر بعض أحداث المقاومة والتي كان للنشاط المسلح للأمير عبد القادر دور كبير فيها، حيث حاول إحياء المقاومة المسلحة في منطقة الهضاب العليا الغربية ومنطقة القصور الذي احتضنته، وحسب الأبحاث الفرنسية أن سبب حملة الجنرال كافيناك ولا رينو (Renault Cavignac) الموجهة إلى الهضاب العليا الغربية ومنطقة القصور تعود إلى تمركز الأمير عبد القادر بهذه المنطقة، وفي هذا الموضوع ذكر جيلالي ساري "...وفي الجنوب استقبلت حميان الأمير عبد القادر ورحبت به، ومن ثم تحركت جيوش الجنرال رينو (Renault) في 10 أبريل 1847 ووصلت إلى الخيثر 13 أبريل 1847 ثم تجاوزت الشط الشرقي أي بوقطب في 14 أبريل 1847، ووصلت إلى الحمرة، واستمرت في التقدم، فالتقت في 16/04/1847 بقوافل الجنرال كافيناك هذه الأخير تتبعت خط سير من الضاية، في اتجاه سبدو والعريشة، مروراً بالمشرية، وشمال النعامة إلى عسلة، وفي هذا الموضوع ذكر جاكوفليكس "... انطلقت حملة الجنرال كافيناك من عسلة إلى واحة تيوت في 24/04/1847

م ...

وصلنا إلى تيوت في 25/04/1847 على الساعة الخامسة صباحاً... غادرت الأهالي القصر، وبقي سوى اثنان أو ثلاثة من الجماعة ... وأوضح الجنرال كافيناك لساكني قصر تيوت بأن ممتلكاتهم ستحترم ولكن يجب على أهالي تيوت دفع الضريبة، ويعودون إلى مساكنهم (Felix,

(151, p. 1889)، وحسب الكتابات الفرنسية التي عالجت منطقة تيوت ذكرت أن الجنرال كافيناك غادر القصر بعد أن تعرف على ظروف أهالي القصر، وقرر عدم تضييع الوقت، واتجه نحو مغرار الفوقاني والتحتاني، كما ذكر في نفس الموضوع رينيه "... عرفت تيوت في 1847 مرور حملة عسكرية بقيادة الجنرال كافيناك قادمة من عسلة واتجهت نحو عين الصفراء، و صفيفيفة وقبل أن تتأسس مقاطعة عين الصفراء، فإن قصر تيوت كان تابعا للقيادة العسكرية بسبدو" (Renier, 1985, p. 147)، وفي أغلب الظن أن الحملة العسكرية التي قادها الجنرال كافيناك كان هدفها إخضاع منطقة الهضاب العليا الغربية، ومنطقة القصور باستخدام القوة العسكرية، إلا أن سكان قصر تيوت رفضوا الخضوع لفرنسا، فقرر الجنرال كافيناك بعد عودته من مغرار التحتاني معاقبة قصر تيوت استخدم أسلوب القمع والتنكيل بأهالي القصر، وقد اتضح ذلك من خلال كتابات الفرنسيين وما ورد عنهم أنه ما بين سنتي 1848 و 1850، لجأت الجمهورية الفرنسية الثانية إلى أساليب القمع لمواجهة الثورات المستمرة، وفي هذا الموضوع ذكر أندى برنيان وآخرون "... فهكذا نزلت المصيبة على أهالي الجنوب من الإقليم الوهراني الذين التفوا حول أولاد سيدي الشيخ وثاروا...وفيما يخص التخريب لمساكن وقرى، فنذكر نكبة قصور تيوت، مغرار التحتاني والفوقاني، في قبيلة أولاد سيدي الشيخ في تواريخ 15 و 16 أبريل 1849 دون أن يقع قتال ..."، بعد واقعة الجنرال كافيناك، شهدت تيوت حملة الجنرال بيليسه (Pélissier) التي وصلت إليها في 16 أبريل 1849م، والتي أرغمت أهالي القصر على مغادرته خوفا من حد السيف الذي سلط على أهل القعلول، ومع ذلك قامت الحملة العسكرية بمعاقبة سكان القصر والتي تجلت في السلب والنهب والتخريب بسبب مساهمة سكان القصر في تخزين المواد الغذائية لحميان الذين ظلوا عصاة ومتمردين. وفي هذا الموضوع ذكر... Noel تفصيلا عن الأحداث التي رافقت فترة وجوده في المنطقة، حيث ذكر في مجمل وصفه أن حميان غادرو قصر تيوت دون أخذ مؤنهم التي كانت توجد بمخازن القصر المملوءة بالشعير والقمح والتمر والغنائم، وكان الغرض من حملة بيليسه (Pélissier) هو تأديب حميان ومعاقتهم، وكذلك سكان قصر تيوت ... وأمر

الجنرال القوات العسكرية الفرنسية والقومية بنهب وسلب وتخريب القصر..." وكان على إثر هذه الحملة أن هاجر عدد كبير من أهالي القصور وحميان إلى المغرب الأقصى، بسبب الضرر الذي ألحقته الحملة العسكرية الفرنسية بهذه المنطقة، (NOEL, 1915. 1916, p. 254) في هذا الموضوع ذكر أندري برنيان وآخرون "... قامت حملة بيليسي (Pélissier) بسلب الاغنام و2700 من الابل خاصة من قبائل الجنوب وأولاد سيدي الشيخ "... ثم شهدت تيوت كذلك حملة دي كولومب في 1851 (De Colomb) وحملة القائد الاعلى بسبدو والنقيب كولونيو (Colonieu) في 22 ماي 1858 وكانت تضم الخيالة وثلاثين عنصرا من الضبابية ومئة جمل من أحسن الخيالة المعروفين بالقومية، ومئة فارس من الطراز الاول، والتي قامت بزيارة قصر تيوت والقصور الاخرى وكان هدفها عقد الصلح والاتفاق مع قياد حميان والعمور، وفرض الغرامة كعقوبة خمسة آلاف فرنك فرنسي على حميان الذين تسببوا في الخسائر التي حدثت بمعسكر عين بن خليل، وحسب (Noel) الذي ذكر بان المهمة التي قام بها كولونيو (Colonieu) قد نجحت وتمت بإتقان ، ووقع على تقرير أكثر توثيقا ، وبعث به إلى الجنرال قائد المنطقة العسكرية بتلمسان.

يبدو من خلال الأبحاث الفرنسية أن فرنسا كان هدفها هو إخضاع المنطقة بطريقة سلمية، لأن تيوت كانت هدفا استراتيجيا للحملة الفرنسية، وذلك كون موقعها استراتيجي يسمح بمراقبة منطقة القصور، وتحركات أولاد سيدي الشيخ. إن استمرار القوات العسكرية الفرنسية في عملية التقتيل والنهب، وتخريب العمران، ومحاولات إخضاع منطقة أولاد سيدي الشيخ بالقوة هي التي أدت إلى قيام ثورة أولاد سيدي الشيخ والتي أعلنها سي سليمان بن حمزة في 1864/04/08، كما عرف قصر تيوت بعد ثورة أولاد سيدي الشيخ حدثا هاما لا يقل عن الأحداث السابقة أهمية وهو ثورة بوعمامة التي استغرقت ضد الاحتلال الفرنسي المنطقة 27 سنة، و بالتالي تعد أطول الثورات في الجزائر، وهو الأمر الذي جعل قصر تيوت يتحمل عبء الحملات العسكرية الفرنسية المتتالية منذ سنة 1845، وإلى غاية 1903، كبقية

القصور الأخرى، و تعرض للقمع والاضطهاد و التخريب من جراء المواقف التي اتخذتها حاميته ضد الاحتلال الفرنسي.

3. أهمية التأهيل المستدام لقصر تيوت:

تعد القصور الصحراوية من أبرز الطرز المعمارية التي تعكس هوية وأصالة سكان الجنوب الجزائري بصفة عامة، ونظرا لقيمتها التاريخية والجمالية، وكذا الهندسية وجب العمل على حفظها وصيانتها والاهتمام بها، ذلك لما لها من انعكاسات إيجابية على حياة سكان هذه المناطق، ومن الجوانب الأساسية التي ينكس عليها تأهيل قصر تيوت إيجابا نذكر المجالات التالية:

1.3.3. ضرورة الاجتماعية الثقافية:

تحسين الظروف الاجتماعية، حيث يساهم حفظ وتأهيل قصر تيوت في رفع مستوى الظروف المعيشية للسكان المحليين لأن مفهوم التأهيل لا يقتصر على المباني فقط، بل يشمل أيضاً تحسين البنية التحتية والخدمات للسكان القاطنين داخلها أو حولها، من خلال تطوير شبكات المياه، الكهرباء، والطرق، مما يساعد حتما في تحسين جودة الحياة (إيسيسكو، صفحة 22)، وهو ما يحد من الهجرة نحو المدن الكبرى، كما أن إدماج قصر تيوت في مشاريع التنمية، ربطه بالخدمات الأساسية لخدمة التنمية المستدامة لتحقيق استدامة قصر تيوت كموقع سياحي، يجب توفير مرافق استقبال، مثل الفنادق البيئية، المطاعم التقليدية، والمسارات السياحية المنظمة، مما يعزز تجربة الزوار ، وبالتالي هي تعزز من جودة الحياة.

تصنف القصور الصحراوية كموروثٌ مشترك يساهم في تعزيز الانتماء لدى المجتمعات المحلية ، حيث تعتبر فضاءاته مسرحاً لإحياء العادات والتقاليد من خلال الفعاليات الثقافية والفنية، مثل المهرجانات الشعبية والأسواق التقليدية، في هذا الصدد يمكن لقصر تيوت أن يؤدي هذا الدور الاجتماعي، ويساهم في خلق فضاءات اجتماعية وثقافية باحتضان الفعاليات المحلية، مما يعزز الترابط الاجتماعي والانتماء للمكان. وذلك بإقامة مهرجانات داخل أسوار القصر لكي تسلط الضوء على التراث المحلي، مع العمل على إحياء الصناعات التقليدية التي

اشتهر بها سكان المنطقة في فترات زمنية ماضية مع ضرورة فتح أسواق لتسويق الصناعات التقليدية، ما يجذب المزيد من الزوار ويساهم في دعم الاقتصاد المحلي. يعد قصر تيوت جزءاً أساسياً من الهوية التاريخية لهذا الفضاء الجغرافي الصحراوي، حيث يعكس أنماط العيش القديمة، التقنيات المعمارية التقليدية، والتكيف البيئي للسكان، وعليه وجب من خلال تأهيله تحقيق مقاربة حفظ الأصالة بكل أبعادها واستغلال هذا التفرد الثقافي والمعماري لتحقيق التنمية المستدامة.

إشراك السكان في عمليات الترميم والتأهيل مما يعزز من إحساس أهالي مدينة تيوت بالمسؤولية تجاه تراثهم، كما أنه يخلق فرص عمل في مجالات البناء التقليدي والحرف اليدوية. وهو ما سوف يساهم في تعزيز الهوية المحلية المرصعة في التراث العمراني المحلي وما تتضمنه من قيم تاريخية وجمالية.

2.3 الأهداف الاقتصادية:

يهدف تأهيل قصر تيوت إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية التي تشمل الأبعاد الثقافية، ومن أبرزها:

- يمكن أن يساهم تأهيل قصر تيوت في خلق فرص اقتصادية جديدة، خاصة من خلال تنمية السياحة الثقافية. التنمية السياحية: تحويل القصر والمدينة عموماً إلى وجهات سياحية تساهم في تنشيط السياحة الثقافية والإيكولوجية، مما يعزز الاقتصاد المحلي.
- تشجيع الحرف التقليدية من خلال دعم الصناعات التقليدية المرتبطة بالقصور، مثل البناء بالطين، والفخار، والنسيج، مما يخلق فرص عمل جديدة، كصناعة الحلي مثلاً، أو صناعات تقليدية أخرى ذات قبول واسع من طرف السياح.



الطرق التقليدية في صناعة الطوب

-جذب الاستثمارات وتحفيز القطاع الخاص للاستثمار في مشاريع الترميم والتأهيل والمشاريع المتعلقة بمرافقة متطلبات السياحة في المنطقة من فنادق ومطاعم وأماكن الراحة، وهو ما يساهم في توفير مناصب شغل تساهم في دفع حركة الاقتصاد المحلي.

-تعزيز التنمية الاقتصادية بتحويل بعض المنازل قصر تيوت إلى فنادق بيئية تمتاز عن باقي المؤسسات الفندقية، باعتمادها على مواد محلية مستدامة مثل الطين، الجير، والخشب، مما يجعلها نموذجًا للبناء البيئي المتكيف مع المناخ الصحراوي، كما يمكن الاستفادة من بعض المنشأة المعمارية لإنشاء متحف يمكن أن يجذب السياح من مختلف أنحاء العالم.

4. استراتيجيات تأهيل القصور الصحراوية:

بغية تحقيق مشاريع تأهيل ناجحة ومستدامة، يجب تبني استراتيجيات متكاملة تشمل الجوانب العمرانية، السياحية، الاقتصادية، والاجتماعية، ومن أهم هذه الاستراتيجيات، والتي سوف نذكرها تباعا محاولين إسقاطها على قصر تيوت تماشيا ومتطلبات الورقة البحثية التي تركز على الجانب التطبيقي الميداني:

1.4 الحفاظ على الهوية المعمارية:

يعد الطراز المعماري أحد أبرز الميزات التي تتفرد بها العمائر القديمة ومن بينها قصر تيوت الأثري، وعليه يجب أن تحترم عمليات التأهيل القيم الجمالية والمعمارية الأصلية، لهذا الصرح الأثري القائم بكل مقوماته، وبما أن الترميم غالبا ما يكون عنصرا ضروريا في أشغال الترميم وجب التركيز على ضرورة تقييد هذه الأعمال بمجموعة من الضوابط الضرورية من ضمنها الحد الأدنى من التدخل استعمال المواد الطبيعية الأولية والأصلية في بناء القصر والابتعاد عن التزييف المعماري، والاكتفاء بإيقاف الضرر البارز وغيرها من التفاصيل التي نجدها مفصلة في ميثاق البندقية 1964م. وقصد توفير بيئة مناسبة للعمل يمكن الاستعانة بالحرفيين المحليين للحفاظ على أصالة التصميم والطرق التقليدية في البناء (يمينة، 2022، صفحة 23).

2.4 تحقيق مقاربة السياحة المستدامة وحفظ هوية المكان:

يعرف مصطلح استدامة السياحة في أبسط مفاهيمها أنها عملية تركز على توفير خدمات سياحية إضافة إلى طبيعة المكان لتحقيق الجذب السياحي (عائشة، 2025، صفحة 489)، هذا الفعل يجب أن يشرف عليه مختصون لأن في السياحة هناك تقاطعات جوهرية كثيرة، يمكن لها أن تؤدي بنا حتما إلى الفهم الغلط للسياحة والذي يغديه ذوق بعض السياح، وعليه يجب فهم أن السياحة التراثية هي غير أنماط أخرى من السياحة، فهي تعتمد أساسا على فكرة النافذة الزمنية التي ترجعنا إلى الماضي البسيط بعيوبه ونقائصه، فالزائر يجذبه أصالة المكان ولا يبحث على الرفاهية، التي يمكن له أن يجدها في مناطق أخرى، ولتحقيق هذه المقاربة يمكن تحويل قصر تيوت إلى وجهات سياحية مستدامة، من خلال إنشاء فنادق تراثية، متاحف، ومراكز ثقافية تستقطب الزوار وتعزز تجربة السياحة الثقافية، مع خلق مسارات سياحية تربط بين قصر تيوت الرسومات الصخرية والتي تكون من تأطير مرشدين

سياحيين مختصين لأن جمالية المكان تكتمل بروح العمارة وعمق تاريخها ، مما يضمن استدامة تدفق السياح وتنشيط الاقتصاد المحلي.

3.4 ترقية النشاط الاقتصادي المحلي:

تعد السياحة أحد الروافد الأساسية لبعث الاقتصاديات المحلية للمناطق التراثية وذلك تماشيا والنشاط السياحي والتجاري والخدمات لهذه الأقطاب السياحية، وعليه، يجب طرح خارطة طريق لإنجاح المشروع السياحي، والذي يحتاج إلى دعم حكومي من خلال سياسات تحفيزية مثل تقديم تمويلات ميسرة للمشاريع السياحية المرتبطة بالهوض بالبنية التحتية لمنطقة تيوت، والحرص على تنوعها من خلال الاعتماد على استراتيجية مناسبة في تجسيد المشاريع السياحية، وتفادي قدر المستطاع أدوات التكنولوجيا الحديثة والتركيز على الموارد الطبيعية الملائمة للبيئة الأثرية، كاستعمال الطاقات المتجددة في جلب الطاقة وتفادي الأعمدة الكهربائية، واعتماد نظام تصريف المياه مدمج في نظام السقي الذي يركز على قنوات مبنية بنفس مواد بناء القصر، عكس ما نجده في بعض القصور والتي تعتمد على الأنابيب البلاستيكية، حيث يؤكد المختصون في مجال الترويج السياحي أن الاهتمام بهذه الجزئيات التي تبدو بسيطة من شأنه أن يكون عاملا أساسيا في تحقيق الوفرة والمتعة للسائح، هذه النشاطات سوف يكون لها أثر إيجابي على المنطقة من خلال تفعيل العجلة الاقتصادية، والعمل على جعل هذه المنطقة قطب سياحي اقتصادي يجذب السياح ويوفر مستوى معيشي مقبول للسكان المحلية.

4.4 البعد الاجتماعي لتأهيل القصور الصحراوية:

تتصدر القصور الصحراوية أوجه الهوية الثقافية المحلية للمناطق للمدن الصحراوية، والذي غالبا ما يصطلح عليه بالقديم أو العتيق أو أسماء أخرى محلية تعبر عن أهميته وقدمه، كما أن أغلب النشاطات الدينية والثقافية تكون القصور العتيقة مسرحا لها وهو ما يؤهلها لأن يكون وجهة سياحية ونافذة يمكن للسائح من خلالها أن يلقي نظرة على الثقافة المحلية لسكان المحليين، وهذا ما يؤديه قصر تيوت الذي يستقبل العديد من السياح نظرا

لجمال عمارته وطبيعة الحياة به الممزوجة بعبق التاريخ والتراث، هذا الدور الكبير جعله يتصدر اهتمامات سكان منطقة تيوت، لأنه أحد أعلام الثقافة المحلية، فأصبح دواليب قصر تيوت تتحكم في الطابع الاجتماعي للمنطقة بصفة عامة، حيث تختزل أسوار القصر القديم بتيوت ثقافة والخصوصيات الاجتماعية لسكان المنطقة بصفة عامة، ولهذا السبب أثر هذا الشعور بالانتماء على حياة الناس فأصبحت ظاهرة انتعاش المجال الاقتصادي المرتبط بالسياحة الأثرية أحد الأسباب المباشرة لوقف الهجرة للمناطق المجاورة بحثا عن حياة أفضل، وعليه وجب بلوغ طموح إقناع العامل البشري في المساهمة في إنجاح مشاريع التأهيل باعتباره العنصر الأساسي لهذه النشاط ، لذا وجب إشراكهم في عمليات التخطيط والتنفيذ لضمان استفادتهم من العوائد الاقتصادية والاجتماعية (جازية، 2021، صفحة 151).

5. معوقات التأهيل المستدام القصور الصحراوية:

رغم الأهمية الكبيرة الذي يكتسيه مشروع تأهيل قصر تيوت، وما له من فوائد اجتماعية ثقافية واقتصادية تمس مدينة تيوت والمناطق المجاورة لها، إلا إجراءات التأهيل تواجهها العديد من المعوقات، التي قد تعرقل تحقيق الأهداف المرجوة، ومن أبرز المشاكل التي يمكن طرحها كتحديات مهمة نذكر تباعا:

-عدم إدراج قصر تيوت في قائمة المعالم الأثرية المصنفة، وبالتالي عدم استفادة هذا المعلم الأثري من المشاريع الوطنية والدولية في الترميم والحفظ والتممين والاستغلال.

-التدهور الكبير لبعض العناصر المعمارية والانشائية في عمارة القصر بسبب غياب الصيانة لسنوات طويلة، والتدهور الناتج عن هجر السكان لبعض المنازل، مما يجعل عمليات الترميم مكلفة ومعقدة.

-نقص التمويل والدعم في مرافقة مشاريع التأهيل والتي تتطلب ميزانيات ضخمة قد لا تكون متاحة في ميزانية البلدية.

- نزوح السكان إلى المناطق المجاورة، وهو الفعل الذي يؤدي إلى قلة السكان المحليين المهتمين بسلامة قصر تيوت أو العمل في صيانتها وتطويرها.

- غياب تام لمختصين في مجالات الصيانة والترميم استغلال التراث الأثري تأهيل القصور الصحراوية باستثناء بعض السكان الغيورين على هذا المعلم الأثري
- نقص الترسانة القانونية التي تؤهل أعوان الدولة لحماية هذا التراث ومحيطه الأثري بسبب إشكالية التصنيف، هذه القوانين وان وجدت غلب عليها العرف المحلي بسبب طبيعة الحياة في هذه المناطق المعزولة (يمينة ق.، 2021، صفحة 181)
- التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة خاصة الفيضانات الأخيرة، وكذا ارتفاع درجات الحرارة وزيادة العواصف الرملية.
- غياب رؤى واضحة من طرف مصالح البلدية ومديرية الثقافة لتسيير هذا الوعاء الاقتصادي المهم.
يمكن تسجيل هذه المعوقات كأولويات لانطلاق مشروع تأهيل قصر تيوت ومحيطه الأثري، أما بخصوص المعوقات فنؤكد أنها تتجاوز بكثير النقاط التي ذكرناها.

6. خاتمة:

يعد تأهيل القصور الصحراوية مجالا مثاليًا لتجسيد مقاربة الحفاظ على التراث وتحقيق التنمية المستدامة، من خلال استراتيجيات متكاملة تشمل الجوانب العمرانية، السياحية، الاقتصادية، والاجتماعية، يمكن تحويل قصر تيوت من قصور قديمة مهددة بالاندثار إلى مراكز حضارية مزدهرة تؤدي دورًا رئيسيًا في تنمية المناطق الصحراوية، وبالرغم من التحديات التي تواجه هذه المشاريع، فإن التعاون بين الجهات الحكومية، والمجتمع المدني، والقطاع الخاص يمكن أن يحقق نتائج إيجابية تضمن استدامة هذا التراث للأجيال القادمة

قائمة المراجع

1. النعامة، م. ا. (2018). قصر تيوت. النعامة الجزائر: مديرية الثقافة ولاية النعامة.
2. إيسيكو (s.d.). استراتيجية تنمية السياحة في العالم الإسلامي. /إيسيكو.

3. رشيد، بورويبة، (s.d.). *الفن المعماري الجزائري*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. جازية، أ. (2021). واقع وآفاق المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية في تحقيق مجال حفظ. *الساورة للدراسات*. 144-164.
5. خلدون، ع. أ. (1981). *تاريخ العلامة ابن خلدون*.
6. عائشة، أ. (2025). مقومات السياحة الصحراوية بالجزائر ومتطلبات تنشيطها دراسة حالة حضيرة طاسيلي نازج. *مجلة أفاق للدراسات والأبحاث*. 487-503.
7. عيسى، ق. (2001). *قصر تيونوت، دراسة أثرية ومعمارية*. جامعة تلمسان: رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية.
8. نصيرة، م. (2018). قصور منطقة النعامة-دراسة تاريخية معمارية مفرار، تيونوت، صفيفيفة أنموذجا. *الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية*. 95-109.
9. يمينه، ق. م.-ش. (2021). حماية التراث الأثري قراءة في أهم التشريعات الدولية والقوانين الوطنية. *مجلة الساورة للدراسات*. 165-185.
10. يمينه، م. ق.-ش. (2022). *محاضرات في صيانة وترميم التراث الأثري*. تلمسان- الجزائر: دار النشر كنوز للكتاب.
11. Felix, J. (1889). Expedition du General du Cavignac dans le sahara Algerien. *Gide et Baudry*, p.p.259.261.
12. NOEL. (1915 .1916). document poursuivre a l'histoire de hamayen et région qui ils occupent . *B S O T xxxv*.
13. Renier. (1985). Tiout (sud Oranais): Etude géographique et historique et médicale. *Institut de pasteur Alger*.